مؤتمرات وندوات

«مشكلة الانفجار السكاني: الدلالات البيئية والرؤى المستقبلية من منظور تربوي»

أ.د. راتب السعود

عقد في القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية في الفترة من 17-2002/12/20 المؤتمر السنوي الثاني والثلاثون لقضايا السكان والتنمية الذي نظمه المركز الديموغرافي بالقاهرة. وقد شارك في هذا المؤتمر الذي رفع شعار (حلول غير تقليدية للمشكلة السكانية) ما يزيد عن (300) ثلاثمائة خبير ومفكر وباحث يمثلون أربعا وثلاثين دولة منها الأردن.

وقد شارك في هذا المؤتمر العلمي الكبير من الأردن الأستاذ الدكتور راتب السعود من كلية الآداب والفنون في جامعة عمان الأهلية، الذي عرض دراسة بعنوان **«مشكلة الانفجار السكاني: الدلالات البيئية والرؤى المستقبلية من منظور تربوي»**، سعى فيها إلى توضيح مفهوم مشكلة الانفجار السكاني، وبيان انعكاساتها على البيئة، ومن ثم تحديد وسائل التصدي لها.

ففي مجال توضيح مفهوم مشكلة الانجار السكاني، أشارت الدراسة الى ظهور ثلاث مدارس فكرية، وهي:

1 ـ المدرسة الديموغرافية: التي يمثل اصحابها كل الباحثين في علم السكان، ويرون أن المشكلة السكانية عبارة عن تناقض بين عدد المواليد (حوالي 384000 طفل يوميا وعدد الوفيات (حوالي 137000 فرد يوميا) بزيادة صافية مقدارها (حوالي 247000 طفل

يوميا) أي ما يعادل حوالي (90) مليون طفل سنوياً.

2 ـ المدرسة البيئية/ الايكولوجية: وأشهر من يمثلها عالم الاقتصاد الإنجليزي «توماس مالتوس» الذي يرى أن المشكلة السكانية عبارة عن تناقض بين (قدرة السكان على التزايد) التي تخضع للمتوالية الهندسية، و(قدرة الأرض على إنتاج الغذاء) التي تخضع في نموها للمتوالية الحسابية.

3 ـ مدرسة الاقتصاد السياسي: ومن أشهر من يمثلها العالم العربي «رمزي زكي» الذي يرى المشكلة السكانية عبارة عن تناقض يقوم بين تكاثر السكان والنظام الاجتماعي السائد، الذي يعجز عن أن يوفر لهؤلاء السكان متطلبات الحياة.

وقد أوضح الباحث أن مشكلة الانفجار السكاني هي إحدى المشكلات الرئيسية الثلاث التي تواجه البيئة، إلا أنها تمثل أم (أو مولد) المشكلتين الآخريين وهما التلوث (بأنواعه الست: تلوث الهواء، وتلوث الماء، وتلوث التربة، وتلوث الغذاء، والتلوث المغناطيسي، والتلوث السمعي/ أو الضجيج)، واستنزاف موارد البيئة الطبيعية (المتمثل في نقص الغذاء، ونقص الماء الصالح للاستهلاك البشري، ونقص الطاقة واستنزاف البيئة المتجددة من حيوانات ونباتات)، علاوة على ازدياد حركة الهجرة السكانية وتفاقم ظاهرة سوء التوزيع الجغرافي للسكان، وازدياد كميات الفضلات المنزلية والمخلفات، والتأثيرات السلبية على المناخ.

ويرى الباحث أن التصدي لمشكلة الانفجار السكاني يستلزم القيام بثلاث مهام رئيسية وهي:

1 ـ توظيف العلم والتكنولوجيا (دور العلم).

2 ـ سن التشريعات القانونية وتفعيل النافذ منها (دور القانون).

3 ـ رفع مستوى الوعي السكاني لدى الناس (دور التربية) وذلك على النحو التالي:

أولا: دور العلم في التصدي لمشكلة الانفجار السكاني ويكون ذلك:

بتصحيح الاختلال في معادلة السكان والغذاء، من خلال تطوير تكنولوجيا موانع الحمل، وتطوير تكنولوجيا تحديد جنس الجنين، وتهجين أصناف جديدة من غراس الأشجار الأكثر إنتاجا.

ثانيا: دور القانون في التصدي لمشلكة الانفجار السكاني:

فقد سنت تشريعات في بعض الدول لتقييد الزواج إلا للقادرين عليه (الثقافة الإسلامية، ووريتمبرغ مثلا)، أو عدم تشجيع النسل (اليابان بعد الحرب العالمية الثانية)، أو تحديد النسل بطفل واحد (الصين *1967*) أو تنظيم النسل (الهند *1952*).

ثالثا: دور التربية في التصدي لمشكلة الانفجار السكاني:

ويكون ذلك من خلال توظيف جميع المؤسسات التربوية بشقيها النظامية وغير النظامية للإسهام في بناء وتطوير مستوى وعي الناس تجاه التصدي لهذه المشكلة، كما يتضح تاليا:

1 ـ دور المدرسة: وهناك مدخلان لتضمين التربية السكانية في المناهج الدراسية وهما: مدخل الوحدات المستقلة. (الذي يقوم على تضمين وحدة دراسية في إحدى المواد، أو توجيه منهاج مادة دراسية بأكملة توجيها سكانيا)، والمدخل الإندماجي (الذي يقوم على ربط المعلومات السكانية بكافة المواد الدراسية).

2 ـ دور الجامعة: يمكن للجامعة أن تسهم في التصدي لهذه المشكلة عبر وظائفها الثلاث: التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع. ففي مجال التعليم يمكن للجامعة استخدام مدخل الوحدات المستقلة أو المدخل الاندماجي أو مدخل الدراسات المستقلة المتخصصة في مجال السكان، كما يمكن للجامعة من خلال كلياتها ومراكزها البحثية أن تقدم بحوثا علمية تستهدف إعادة التوازن لمعادلة السكان

والغذاء. وفي مجال خدمة المجتمع فإن الجامعة مطالبة بأن تنفتح على المجتمع المحلي، وتقدم له المشورة، وتمد له يد العون في هذا المجال.

3 ـ دور رياض الأطفال: وذلك من خلال غرس القيم السكانية الايجابية عند الأطفال، وإكسابهم المفاهيم الملائمة حيال هذه المشكلة.

4 ـ دور الأسرة: وذلك من خلال تنظيم الحمل، وإطالة فترة الرضاعة، ومحاربة الزواة المبكر، وتشجيع التعليم وبالذات لدى الإناث.

5 ـ دور الدين (التربية الإسلامية): وذلك من خلال زيادة وعي الناس دينيا، وتوضيح أن الإسلام الذي حرم تحديد النسل (إلا لأسباب مقنعة) قد أباح تنظيم النسل، من خلال المباعدة بين المواليد، عبر جعل فترة الرضاعة سنتين، تحقيقا لقوله تعالي: (وفصاله في عامين)، وقوله (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) صدق الله العظيم.

6 ـ دور الإعلام: ويمكن للإعلام بكافة أشكاله المقروءة والمسموعة والمرئية أن يسهم في زيادة وعي الناس حيال القضايا السكانية، وإنجاح برامج التوعية الصحية والتخطيط الأسري.

7 ـ دور المنظمات غير الحكومية *NGOs*: وهي مؤسسات تطوعية زاد عددها عالميا عن *(5000)* ويسعى معظمها الى التصدي لقضايا السكان، وتدعيم الاتجاهات السكانية نحو التخطيط الأسري والتنظيم الإنجابي.

وفي نهاية هذا البحث قدم الباحث مجموعة من التوصيات العلمية في هذا المجال، كان من أهمها أن تعمل الحكومات على تفعيل الاستراتيجيات الوطنية للسكان في كل قطر عربي، وأن تؤخذ على محمل الجد، وأن يتم تقييم برامجها بشكل دوري.